أنشطة جديدة للشاذلى فى البرتغال

فقد «الشـاذلى» بنقلـه إلى البرتغال فى سـبتمبر ١٩٧٥م الكثير من الامتيـازات التـى كان يتمتع بها فى لنـدن كواحدة من كبرى العواصم الأوروبية، ولكنه لم يسـمح لأى مشـاكل أن تنال من حماسه وتقلـل من عزيمته فى أداء مهامه الدبلوماسـية فى البرتغال، فقد كان «الشـاذلى» محبا للحياة مهما كانـت تقلباتها، شـغوفا بعمله أيا كان موقعـه، فمهما تغيرت ظروفه لم يؤثر أى تغيير فى شـخصيته، فظل يواصـل عمله بنفس الحماس ويديـن بولائه الصادق لوطنه مصر، وكأن إحساسه بالظلم كان يزيده عنادا وإصرارا على النجاح، فانطلق بنشاطاته فى البرتغال التى لفتت إليه الأنظار وزادت من شـهرته هناك، بدأها بتعلم اللغة البرتغالية لغة البلد التى يعمل بها.

وحول ذكرياته فى البرتغال أجرت زوجته حوارا قصيرا نُشـرفى جريدة الشـعب فى ٥ مارس ١٩٩٢م بعـد عودتها من الجزائر للقاهرة تحدثت فيه عن ذكرياتها مع «الشاذلى» فى البرتغال فقالت:

«فورانتقالنا إلى البرتغال فى سـبتمبر ١٩٧٥م بدأ السفير «الشاذلى» بإنشـاء مركز لتعليم اللغة العربية فى محاولة جادة لنشرها بين شعب البرتغال، وجعل من بيته أول مكان يُرفع منه أذان الصلاة منذ أن ترك

المسلمون البرتغال فى العصور القديمة، بعد أن حول الدور الأرضى من منزله إلى جامع يقصده مسلمو البرتغال للصلاة، وكان حارس المنزل يقوم برفع الأذان للصلاة، ثم حل محله السائق التركى للسفير الذى لم يكن يعرف من العربية سوى كلمات الأذان والإقامة، ومع مرور الأيام أصبح بيت «الشاذلى» مكانا يقصده المسلمون للاحتفال هناك بأعيادهم فكانوا يقضون مع أسرهم احتفالات العيد فى بيت السفير «الشاذلى»! وأول هذه الاحتفالات كانت حدثا كبيرا تحدثت عنه الصحف وحضره الصحفيون والمصورون.

لازال الحديث لزوجة «الشاذلى»:

وشجع ذلك السفير «الشاذلى» أن يطلب من الحكومة البرتغالية التصريح ببناء مسجد للمسلمين هناك، وصدرالتصريح بالفعل وتم جمع التبرعات لبنائه ووضع «الشاذلى» حجر الأساس وأقيم المسجد على مساحة كبيرة، وأرسل «الشاذلى» إلى مصر فى طلب داعية من الأزهر، وتم استئجار شقة للشيخ الداعية كانت إحدى غرفها مدرسة لأبناء الجاليات الإسلامية ليتعلموا فيها الإسلام، إلى جانب أنشطة ثقافية أخرى وضع بها «الشاذلى» بصماته فى البرتغال خلال ثلاث سنوات متتالية قضاها هناك من ١٩٧٥م حتى ١٩٧٨م لتُزيد إنجازاته الخيرية والإنسانية فى البرتغال من شهرته هناك. {إلى هنا انتهى حوار زوجة الشاذلى جريدة الشعب}

السادات يعاود مهاجمة الشاذلى من جديد

فـى إبريل ١٩٧٨م صدر للرئيس السـادات الطبعة الأولى من كتابه «البحث عن الذات» الذى سـجل فيه للتاريخ مسـئولية «الشـاذلى» عن الثغـرة وذلك فى الفقرة الثانية من صفحـة ٢٧٣ من الكتاب والتى جاء فيها:

إنه فى يوم ١٦ أكتوبر أرسل الرئيس السادات رئيس الأركان الفريق «سعد الشـاذلى» للتعامل مع الثغرة ورأى السـادات أنه كان من السهل جـدا التعامل مع الثغرة فـى ذلك اليوم ولو أن «الشـاذلى» نفذ ما طلبه السـادات منه والفريق أحمد إسماعيل فى التوقيت الذى حدده السادات له لأصبح من السـهل القضاء على الثغرة، ورأى السـادات إنه كان فى إمكان «الشاذلى» أن ينتهى من العملية كلها بعد وصوله بساعات، فاتهم «الشـاذلى» بإضاعة الليلة بأكملها فى جمع المعلومات وإنشـاء قيادة له ينافس بها قيادة غريمه الفريق أحمد إسماعيل.

وأضاف السادات فى نفس الصفحة من كتابه:

إن قـوات الصاعقة كانت قـد تقدمت إلى الدفرسـوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول واعترف الإسـرائيليون بشراسـة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة.... ولكن «الشـاذلى» أعطاهم الأمر بالانسـحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة.

وكان «الشـاذلى» يرى ضرورة سـحب بعض قواتنا من شـرق القناة للمعاونة فى القضاء على الثغرة لأن الغرب مهدد... بينما رأى السادات

أن هذا ما كان يريده الإسرائيليون... فذهب الرئيس فى منتصف ليلة ١٩ / ٢٠ أكتوبر إلى القيادة حتى يتخذ قرارا مهما بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة وأن السادات جمع القادة فى هذه الليلة وكانوا جميعا من رأى السادات بعدم سحب قوات من الشرق، فأعطى السادات الأمر بأن لا ينسحب جندى واحد ولابندقية واحدة ولا أى شىء من شرق القناة وأن التعامل مع الغرب يتم حسب الأوضاع الموجودة ورفض السادات بذلك خطة الشاذلى لمواجهة الثغرة. إلى هنا انتهت فقرة أسباب عزل السادات للشاذلى التى وردت فى كتاب (البحث عن الذات)وكانت سببا فى اشتعال الخلاف بين «الشاذلى» والسادات.

ومما زاد من غضب «الشاذلى» أن السادات ذكر فى كتابه نفس تصريحه من قبل أن الشاذلى عاد منهارا فى ١٩ أكتوبر، فاضطر السادات أن يعطى تعليماته فى هذه الليلة بعزل «الشاذلى» من رئاسة الأركان.

ذلك لأن «الشاذلى» رأى أن تصريحات السادات فى كتابه حملت الكثير من المغالطات ووصفها بأنها تصريحات ظالمة وكاذبة لأن فيها إدانات وتلميحات بتقصير «الشاذلى» فى واجبه العسكرى فى أيام الثغرة ومخالفته لتعليمات الرئيس، وكان رأيه أن هذا لم يحدث.

وفى ١٩ يونيه ١٩٧٨م قام «الشاذلى» بالرد على ادعاءات السادات فى مؤتمر صحفى كبير فى سفارة مصر بالبرتغال ضم العديد من الشخصيات الدبلوماسية الهامة دافع فيه «الشاذلى» عما أسماه سمعته

العسكرية وأنكر وبإصرار ما ورد فى كتاب السادات من انهياره، وذكر أن السادات هو الذى انهار مرتين فى أيام الثغرة ووصف زيارة السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧م بأنها خطأ سياسى من السادات، ورأى أن الخطأ الثانى الذى ارتكبه السادات هو إقباله على كتابة مذكراته وهو لايزال فى السلطة ووصفها «الشاذلى» بأنها أول حالة لرئيس دولة فى العالم يكتب مذكراته وهو فى السلطة .

وحول حقيقة انهيار «الشاذلى» جاء فى شهادة محايدة للمشير الجمسى سجلها للتاريخ فى صفحة ١١٦ من كتاب محمود فوزى (أسرار الصدام بين السادات والشاذلى): أن «الشاذلى» عندما عاد من الجبهة فى ٢٠ أكتوبر لم يكن منهارا كما وصفه الرئيس السادات فى مذكراته بعد الحرب.

إحالة الشاذلى إلى محكمة القيم!

وظل إحساس «الشاذلى» بالظلم يشعل فى صدره غضبا لا يهدأ دفعه بالإخلال بواجبات وظيفته الدبلوماسية، فبحلول شهر يونيه ١٩٧٨م بدأ «الشاذلى» بالتهجم على النظام فى مصر ولم يلتفت إلى أن عمله جزء من منظومة الدولة التابع لها (مصر)، وسجل مبرراته وأسبابه فى خطاب ووزعه على وكالات الأنباء فى البرتغال، وكان لهذا العمل رد فعل أغضب السلطات فى مصر فأصدر وزير الخارجية وقتها محمد

إبراهيم كامل فى ٢٠ / ٦ / ١٩٧٨م قرارا بوقف السفير «الشاذلى» عن العمل سفيرا لمصر فى لشبونة بالبرتغال لإخلاله بواجبات وظيفته واستدعائه للعودة والمثول أمام مجلس تأديب وفقا لقانون السلك الدبلوماسى والقنصلى. (خبربالأهرام بتاريخ٢٠ / ٦ / ١٩٧٨).

فى الوقت الذى قابل فيه السادات مهاجمة «الشاذلى» وتحديه له بقرار إحالة «الشاذلى» إلى المدعى الاشتراكى الذى قرر بدوره إحالة «الشاذلى» إلى محكمة القيم، والتى قضت وقتها بحرمانه من الحقوق المدنية لمدة خمس سنوات.

وبرغم ذلك،لم تنل هذه الأحكام من إصرار «الشاذلى» على استمراره فى الدفاع عن نفسه ضد تصريحات السادات لأنه كان يرى أن هذه الأحكام ظالمة وإحساسه بالظلم كان أكبر من أى عقاب، وعندما تمت اتفاقية كامب ديفيد فى نفس العام ١٩٧٨م انتهزها «الشاذلى» فرصة ليوجه لبنودها انتقادات حادة وأكد أنها لصالح إسرائيل وضد مصلحة مصر، وحذر من آثارها السلبية مستقبلا فى مصر.

هذه المرة دفع «الشاذلى» ثمنا باهظا لتهجمه على النظام فى مصر وخروجه على العرف الدبلوماسى وذلك بفصله من منصبه سفيرا لمصر بالبرتغال لتنتهى بذلك مهمته الدبلوماسية فى البرتغال.

وأصبح على «الشاذلى» إما أن يعود إلى وطنه مصر لينال عقابه، أو أن يختار أن يعيش فى بلد آخر، ولما خشى العودة إلى مصر تحسبا لانتقام

الســادات، فــأراد أن يتجنب تلك المخاوف باختيــاره الجزائر ليعيش فيها، إذ كانت الجزائر فى ذاك الوقت بلدا ديمقراطيا تحكمها جماعات (مجلس قيادة الثورة)، إلى جانب أن الجزائر كانت من الدول المعارضة لاتفاقيــة كامب ديفيــد، وكانت من الدول المقاطعــة لمصر آنذاك، وجاء اختياره هذا تجنبا لوقوعه تحت ســيطرة الحاكــم فى أى دولة عربية أخرى خاصة بعد رفضه لطلب الرئيس صدام حســين فى استضافته فى العــراق. عاش «الشــاذلى» بها ١٤ عاما منذ مغادرتــه البرتغال ١٩٧٨م حتى عودته لمصر ١٩٩٢م. فهل انتهت متاعبه بانتقاله للجزائر؟